### ﴿ وَدُواْلَوْ تَكُفُرُونَ كَمَاكُفُرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٌ فَلَا نَتَّخِذُ وَأَمِنْهُمْ أَوْلِيَّاءً حَقَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن نَوَلُواْ فَخُذُوهُمْ وَافْتُ لُوهُمْ حَيَّى مُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن وَلَانَنَجْدُواْ مِنْهُمْ وَإِفْتُ لُوهُمْ حَيْثُ وَجَدِلْتُمُوهُمْ وَلَانَنَجْذُواْ مِنْهُمْ وَإِنْتَا وَلَانَصِيرًا ( )

ود ودوا ، ضميرها يعود على المنافقين اللين اختلف فيهم المسلمون إلى قتين ، وحكم الله في صالح الفئة التي أرادت أن نقف منهم موقف القوة والبطش والجبروت ، فقال سبحانه وتعالى تعليلاً لنفاقهم : و ودّوا لو تكفرون كيا كفروا ، ثم إن نفاقهم معناه قلق يصيبهم من مستوى حالهم مع مستقبل الإسلام أو حاضره ، لأنهم كافرون بقلوبهم ، ولكنهم يخافون أن يظهر الإسلام فيعاملهم معاملة الكافرين به ، فيحاولون أن يظهروا أنهم مسلمون ليحناطوا لنصرة الإسلام وذيرهه ، فهم في كرب وتعب ، وهذا التعب بجعلهم يديرون كثيراً من الافكار في رموسهم : يقولون نعلن أمام المسلمين أننا مسلمون ، ونعلن أمام الكافرين أننا كافرون .

وما الذي ألجاهم إلى هذا الحال ، وقد كانوا قديماً على وتيرة واحدة ، السنتهم مع قلوبهم قبل أن يجيء الإسلام ؟ إذن فالذي يعيدهم إلى حالة الاستقرار النفسي وينزعهم من القلق والاضطراب والخوف على حاضرهم ومستقبلهم هو أن تنتهى قضية الإسلام ، فلا يكون هناك مسلمون وكافرون ومنافقون . بل يصبر الكل كافراً ,

دودوا لو تكفرون كما كفروا ، والودادة عمل القلب ، وعمل القلب تخضع له جميع الجوارح إن قدرت ، فإداموا يودون أن يكون المسلمون كافرين ، إذن سيقفون في سبيل انتصار المسلمين ، وسيضعون العقبات التي تحنق مطلوبات قلوبهم . لذلك فاحذروهم ، سأفضح لكم أمرهم لتكونوا على بيئة من كل تصرفاتهم وخائنات أعينهم وخائنات ألسنتهم .

#### ©Y#YV©@+@@+@@+@@+@@+©

و ودوا لو تكفرون ، ونعرف أن كلمة و الكفر ، تمنى و الستر ، فالفعل و كفر ، معناه و ستر ، ومن عظمة الإيمان بالإسلام وعظمة الحق فى ذاته هو أنه لا يمكن أبدأ أن يطمسه خصومه ، فاللفظ الذى جاء ليحلد المضاد فه هو عبته دليل على الإيمان بالله . فعندما نقول : و كفر بالله ، أى و ستر وجوده ، كأنه قبل أن يستر الوجود فالوجود موجود ، ولذلك نجد أن نفظ و الكفر ، نفسه دليل على الإيمان ، فلفظ و الكفر ، نفسه دليل على الإيمان ، فلفظ و الكفر ، نفسه ان يغطيه ويستره .

و ودوا لو تكفرون كها كفروا ۽ . وهذا الغول جاء بعد أن قال الحق :

﴿ لَمَا لَكُمْ فِي الْمُنْفِقِينَ فِسُنِ ﴾

(من الآية ٨٨ سورة النسام)

ويدل على أنهم يوصفون مرة بالمنافقين ويوصفون مرة بالكافرين . وسياهم الله في آية بـ و المنافقين و ويصفهم الحق في هذه الآية بأنهم كفروا و ودوا لو تكفرون كيا كفروا و والكفر الذي يجيء وصفه هنا يدل على مكنون القلب ، فالنفاق لم يعطهم إلا ظاهريات الإسلام ، لكن الباطنيات لم يأخذوها ، ولذلك سيكونون في الدرك الأسفل من النار في الأخرة ، وإن كانوا في الدنيا بعاملون معاملة المسلمين احتراماً لكلمة و لا إله إلا الله عمد رسول الله ه . لكن الله يغاملهم في الآخرة معاملة الكافرين ، ويزيد عليها أنهم في الدرك الأسفل من النار .

إذن فأصحاب الباطل إن كانت لهم قوة يجعلون لسانهم مع قلوبهم في الجهر بالباطل ، وإن كان عندهم ضعف يجعلون قلوبهم للباطل ولسانهم للحق . وهذه العملية ليست مريحة في كلا الموقعين . فالمربح لهم ألا توجد للحق طائفة . لذلك يقول سبحانه وصفاً للعقيقة مشاعرهم : « ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون صواء » . فهم بتعنون إزالة طائفة الحق حتى لا يكون هناك أحد أفضل من أحد ، مثلها نقول : عفيش حد أحسن من حد .

مثال ذلك : نجد مجموعة من الموظفين في مصلحة حكومية ، ويكون من بينهم واحد غتلس أو لا يؤدي عمله على الشكل الراقي المطلوب ، لذلك فهو لا يحب أن يؤدي الأخرون أعيالهم بمنتهي الإتقان ، ويريدهم فاسدين ، ويحاول أن يغريهم

بالفساد حق يكونوا مثله ؛ كي لا يظهروه أمام نفسه بمظهر النقيصة . وحتى لا يكون مكسور العين أمامهم .

رمن العجيب أننا نجد الذي يسرق يحترم الأمين ، وكثيرا ما نسمع عن لص من فور ما يعلم أن هناك كميناً ينتظره ليقبض عليه فهو يبحث عن رجل أمين يضع عنده المسروقات كأمانة .

وقول الحق عن أمنية المنافقين الكافرين بقلويهم هو أن يكون المؤمنون مثلهم و فتكونون سواء ع . وهذه شهادة في أن صاحب الباطل يحب من صاحب الحق أن يكون معه والأنه حين يجده في الحق ، فصاحب الباطل يحتقر نفسه ، وقد حدثت بكون معه والأنه حين يجده في الحق ، فصاحب الباطل يحتقر نفسه ، وقد حدثت العجائب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد كفروا به وعذبوا صحابته ، ولكنه هو الأمين باعترافهم جميعاً . فها هوذا الرسول صلى الله عليه وسلم بهاجر من وكذه وخلف وعله الله وجهه ليرد الودائع والأمانات التي عنده .

هم كذبوه في الرسالة ، ولكنه الأمين باعترافهم جيماً ، لذلك أودهوا عنده الأمانات . إذن فصاحب الفضيلة محترم حتى هند صاحب الوذيلة . وحتى نتعرف غاماً على هذا المعنى ، فلنفترض أن إنساناً وقع في مشكلة ، صبّ أحداً من الناس ورفع المعتدى عليه دهوى قضائية على هذا المعتدى الذي سبّه ، ولهذا المعتدى صديق عزيز ، استشهد به المعتدى عليه ، فيقول المعتدى : أتشهد على ؟ ويذهب الصديق إلى عزيز ، استشهد به المعتدى عليه ، فيقول المعتدى : أتشهد على ؟ ويذهب الصديق إلى المحكمة ليقول : « لا يقول صديقى مثل هذا السباب » . وهنا شهد الصديق لصديقه شهادة زور . ولنفترض أن هذا المعتدى قد تاب وأناب وصار من الاتفياء ، وجعله الناس حكياً بينهم ، وجاء له الصديق الذي شهد الزور تن أجله ليشهد أمامه ، فهل يقبل شهادته ؟ طبعا لا .

إذن صاحب الفضيلة محترم حتى عند صاحب الرذيلة ، فإذا ما حاول أحد من أصحاب الرذيلة أن يشد صاحب الفضيلة إلى خطأ ، فهو يسمى إلى إضلاله ، وينطبق على ذلك قول الحتى : « ودوا لو تكفرون كيا كفروا فتكونون سواء » ومادام هذا هو هدفهم وفكرتهم ألا يتركوا المؤمنين على إيمانهم ، لأجل أن يأخذوهم إلى صف الكفر . وهم بذلك كمنافقين كفار قلوب غير محلصين لصف الإيمان . وهم

لا يتفون من الإيمان موقف الحياد ، ولكنهم يقفون منه موقف العناد والعداوة . و ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ، وفي هذا تحذير واضح للمؤمنين هو : إياكم أن تأمنوهم على شيء يتعلق بمصالحكم وإيمانكم .

ويصدر الحق الحكم في هذه القضية بمنتهى الوضوح: و فلا تتخذوا منهم أولياء الله إياكم أن تتخلوا من المنافقين نصراء لكم أو أهل مشورة ؟ لأن الله سبحانه فضح لكم دخائل نفوسهم، وهذه المسألة ليست ضربة لازب، فإن أب الواحد منهم وأناب ورجع إلى حظيرة الإيمان فلن يرده الله، فسبحانه وتعالى لا يضطهد أحدا للجرد أنه ارتكب الذنب بالأنه الحق غفور ورحيم، فيادام قد عاد الإنسان إلى الصواب وبعد عن الخطأ، فعلى المؤمنين أن يتبلوا من يعود إليهم بإخلاص ، فالكراهية لا تتعقد ضد أحد لأنه أخطأ ؟ لأن الكراهية تكون للعمل الخطأ، وليست فرجهة ضد الإنسان المخلوق فله، فإن أقلموا عن الخطأ ؟ فهم مقبولون من المؤمنين.

وهاهوذا قاتل زيد بن الخطاب بمر أمام عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقال له بعض الناس هاهوذا قاتل أخيك زيد . فيقول عمر بن الخطاب : وماذا أفعل به وقد هداه الله للإسلام ؟!

وهكذا نوى أن الكراهية لم تتعد إلى ذات القاتل ، ولكن الكره يكون للفعل ، فإن أقلعت الذات عن الفعل فالذات لها مكانتها . وهكذا يصدر الحكم الربان : و فلا تتخذوا منهم أولياء حتى بهاجروا في سبيل الله ه .

والهجرة في سبيل الله كانت تكلف الإنسان أن يخرج من ماله ومن وطنه ومن الهله ، ويذهب إلى حياة التقشف والنعب والمشغة ، وفي هذا ما يكفر عنه ، وينعرف المؤمنون هنا أنه قد تاب إلى الله فتاب الله عليه وآن له الأوان أن يدخل في حوزة الإيمان . فإن فعل ذلك فقد عاد إلى الإيمان . ولذلك يجب على الناس أن يفصلوا الفوات عن الأفعال . غاذا ؟ لأن الذوات في ذاتها لا تستحق أن تكره ، وإنما يكره فعل الذات إن كان فبيحا صيئا .

وحين نفراً القرآن نجله يعرض مثل هذه المسألة ، فسيدنا نوح عليه السلام عندما تلقى وحى الله بأن يصنع السفينة ، وجلس يصنعها ويمر عليه الناس فيسخرون منه فيقول لهم سيدنا نوح : سنسخر منكم غداً كيا تسخرون منا . ويائي له ابن ليس عل منهجه ، فيدعوه نوح إلى المنهج فيقول الابن : ولا ، ويركب نوح السفينة ويقول منهجه ، فيدعوه نوح إلى المنهج فيقول الابن : ولا ، ويركب نوح السفينة ويقول منه : لقد وعدتني أن تنجيني أنا وأهل .

وهنا يوضح الحق: صحيح أنا أنجيك أنت وأهلك ، ولكن ما الذي جعلك تعتبر ابنك من أهلك ، إن الذوات عند الأنبياء لا نسب لها ، إنما نسب الأنبياء . الأعيال :

﴿ إِنَّهُ عَمَّلُ غَيْرُ سَنِلِينٍ ﴾

(من الآية 2% سورة هود)

إن العمل هو الذي يتم تقييمه . ولذلك يقول الحق : و فلا تتخلوا منهم أولياء حق بهاجروا في سبيل الله ، والهجرة من و هجر » ، وه هجر » يعنى أن الإنسان قد عدل من مكان إلى مكان ، أو عن ود إلى ود ، أو عن خصلة إلى خصلة ، والذي يجر عادة ينجني على من « هجر » ، لنلاحظ أن الله سبحانه وتعالى في كتابه عندما يأتى بالحدث ، يأتى بـه هاجر » ، ولم يأت بالحادث و هجر » ، قالنبي صلى الله عليه وسلم ، وسلم لم يهجر هكة . ولكنه هاجر منها ، ويقول صلى الله عليه وسلم ؛

والله إنك لأحب أرض الله إلى وإنك لأحب أرض الله إلى الله ولولا أن أهلك
أخرجون منك ما خرجت ع<sup>(1)</sup>.

فالهجرة جاءت ؛ لأن أهل مكة هجروه أولًا ، فاضطر أن يهاجر . وو هاجر ۽ علي وزن ۽ فاعل ۽ . والمتنبي يقول :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا

ألا تضارفهم فبالبراحلون همو

ولدُلك جاء الحق بالهجرة على صيغة الفاعلة . لقد كرهوا دعوته . واستجاب الرسول للكراهية فهاجر .

<sup>(1)</sup> رواه أحمد والترمذي.

#### C10T1DC+CC+CC+CC+CC+CC+C

ويوضح سبحانه أن اللى بخلص هؤلاء المنافقين من حكمنا عليهم ، ألا يتخذ المؤمنرن منهم أولياء هو : أن يهاجروا في سبيل الله ؛ لأن ذلك هو حيثية صدق الإيمان . فالمهاجر يحيا حيشة صعبة . وقد عاش المهاجرون على فيض الله من خير الأنصار ، ولم يؤمسوا حياتهم بشكل لائق . إذن فمن ينضم إلى ذلك الموكب هو مؤمن اشترى الإيمان وقدر على أن يكفر عها بدر منه . فليست الهجرة مجرد هجرة ، ولكنها هجرة في سبيل الله .

ولذلك نرى القاعدة الايمانية في الحديث النبوى : و إنما الأعيال بالنبات وإنما لكل امرى، ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يعييبها أو امرة يتكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه )(١) .

وهكذا يعامل المؤمنون المنافق إن عاد من كفره وتفاقه إلى الإيمان . لكن ماذا نو تربي المنافقون ؟ . و فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيراً و والأخذ إذا جاء في مقام النزاع فمعناه الأسر . وتتلهم في ساحة الفتال أمر واجب ، ولا يصع أن يتخذهم المؤمنون أولياء أو نصراء ؟ لأن الواحد من المنافقين يكون دسيسة على المؤمنين ، ويجاول أن يعرف أمور وأحوال المسلمين ، ويطلع خصوم الإسلام على ما يكن أن ينفذ منه العدو إلى المسلمين . ويستميت ليعرف ما يبيت المسلمون للكافرين .

واتخاذ الولى أو النصير عن نعلم أنه لا يجب الإيمان رئيس على مبدأ الإسلام وعقيدته أمر يشكك في حدق بصيرة الإنسان الذي يتولى ويود غير المسلمين المخلصين . فحين برى الواحد منا إنساناً آخر لا يجبه ويكيد المكاند ، وعندما براك تثق فيه وتحسن إليه ، يقول هذا الكاره : هذا إنسان قاقد البصيرة فلو عرف ما في قلبي لما فعل ذلك . فإذا اتخذ المؤمنون من للنافنين أولياء أو نصراء والمنافنون على ما هم عليه من نفاق لقال المنافنون : إن المسلمين فاقدو البصيرة وهم لا يعلمون ما في قلوبنا ؟ لذلك ينير الحق بصيرة المؤمنين حتى لا تأخذ رأياً من المنافنين ينال منا .

وقد يقول المنافقون : إن هؤلاء المسلمين ليس لهم ربُّ يبصرهم ، فلياذا يدعون

<sup>&</sup>quot; (١) رزاء البخاري.

أن لهم إلهاً ؟. لو كان لهم إله لبصرهم بما في نفوستا . وتجد هذا الفضح لهم عندما يقول الحق :

﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِمِم لَوْلًا يُمَ لِبُنَا آللَهُ إِمَا تَقُولُ ﴾

(من الأية لد سررة المجادلة)

وعدم تعذیب الحق له وقت كفرهم له قائدة ورحمة سيدركونها فيها بعد ، فين هؤلاء من سيكون سيفاً للإسلام بعد أن كان سيفاً على الإسلام ؛ فقد ادخوهم الله ليكون بعض منهم سيفاً للإسلام ، فها هوذا ابن الوليد يهتدى ، وها هوذا عمرو بن العاص ، وهاهوذا عكرمة بن أبي جهل ، هؤلاء سيكونون سيوفاً للإسلام ، ولا يظنن منهم أحد أنه ستر مكنون نفسه عن الله :

﴿ وَ يَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلًا يُعَلِيُّنَا اللَّهُ بِمَا تَقُولُ ﴾

(من الآية ٨ سورة المجاهلة)

هذا القول قد أدي أمرين :

الأمر الأول: أوضح أن هناك رباً مطلعاً على خاتنة الأعين وخفايا الصدور. والأمر الثانى: أوضح أن الله لم يعلبهم لأن منهم من سيمس الإيمان قلوبهم والأمر الثانى: أوضح أن الله لم يعلبهم لأن منهم من سيمس الإيمان قلوبهم وسيكونون سيوفاً للإسلام وسيخرج من ذريتهم قادة يجملون الدعوة لله . ولذلك نجد النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاءه جبريل وقال له : « إن الله قد سمع قول قومك لك وما ودوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمرة بما شئت فيهم فنادان ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد : إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك بما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (١) . فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من العلاجم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ه (١) .

وقد حدث ذلك . إن أسلوب معاملة المنافقين يجدده الله في هذه الآية بما يلى : هم قوم الكفر يسكن القلب منهم ومظهرهم بَدَّعي الإسلام ويتمنون أن يكون

<sup>(</sup>١) الأعشبان: هما جيلان نبكة: أبوقبيس، والذي يقابله وهو تفيُّلمان.

<sup>(</sup>٢) رزاء البخاري ومسلم.

#### O101100+00+00+00+00+00+0

المؤمنون على شاكلتهم ، فلللك لا يتخذ المسلم وليا من النافقين ولا نصبراً .

ولكن إن هاجر المنافق فرحابة الإيمان تتسع له ، أما إن تولى المنافق وأعرض عن ذلك . فأسلوب المعاملة يكون كيا يحدده الله : « فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجد تموهم ولا تتخلوا منهم ولياً ولا نصير ؛ لكن بعد أن يُطلق هذا الأمر توجد عقبة في تنفيذه ، إنها عقبة الأحلاف والمهود والمواثيق التي كان يعطيها رسول الله لبعض القبائل ، وكانت هذه العهود تتلخص في أن الرسول يعاهد بعض القبائل بعدم الإغارة على المسلمين وعدم إغارة المسلمين عليهم . ولذلك يحترم الحق هذه المواثيق والأحلاف .

إن الحق يوضح لنا: لا تأخلوا هذا الأمر أيها المسلمون على إطلاقه ؟ لأن الإسلام دين الوفاء بالعهود ، وقد أعطيتم بعض القبائل عهوداً بأن من لجأ إليهم يؤمنونه ويدخل في حمايتهم ، وكذلك الذي يصل ويلجأ إلى المسلمين فعليهم حفظه ومنع التسلط عليه .

لذلك قال الحق في هذا الاستثناء :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ بَعِيدُونَ إِلَىٰ قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَيَيْنَهُم يَيثَنَّى الْرَجْمَةُ وَيَنْهُم يَيثَنَى الرَجْمَةُ وَكُمْ حَعِيرَت صُدُورُهُمْ أَن يُقَائِلُوكُمْ أَوْ يُقَائِلُوكُمْ أَوْ يُقَائِلُوا فَوْمَهُمْ وَلَوْشَاءَ اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْبَكُمْ فَلَا يُقَائِلُوكُمْ وَالْفَوَا إِلَيْكُمْ فَلَا يُقَائِلُوكُمْ وَالْفَوَا إِلَيْكُمْ فَلَا يُقَائِلُوكُمْ وَالْفَوَا إِلَيْكُمْ فَلَا يُقَائِلُوكُمْ وَالْفَوَا إِلَيْكُمْ السَّالَمَ فَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَيِيلًا فَي اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ السَّالَةِ فَا اللّهُ اللّلْمُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

والآية تبدأ باستدراك حتى لا تفتح مجالاً لإغضاب من كان للإسلام تعاهد معهم وتعاقد ، فالذين يصلون ويلجأون إلى قوم بينهم وبين المسلمين تحالف أو ميثاق

لا ينطبق عليهم ماجاء في الآية السابقة وهو الأخط والقتل .

مثال ذلك ما حدث من عهد بين المسلمين وهلال بن عويمر الاسلمي على الآ يعينوه ولا يعينوا عليه وعلى أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله الجوار مثل الذي غلال والاستثناء يشمل أيضاً من جاءوا إلى المسلمين ، فمن ذهب من المنافقين إلى من عاهده المسلمون فهو يحصل على الأمان ، وكذلك يُؤمِّنُ الرسول من جاءه من المنافقين وقال من الأسباب ما يجعله يطلب حماية الرسول والإسلام : فعلى الرخم من نقاقه يؤمنه الإسلام .

٤ أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم > كأن يقول الواحد منهم : أنا لا أقدر أن أقاتل قومى فاغفر في هذا واقبلني معكم . هؤلاء يقبلهم الرسول الأنهم أقروا بما هم فيه من ضيق ، فهم لا يستطيعون التصرف لا أمام المسلمين فيعلنون الإيمان ، ولا أمام الكافرين فيعملون في معسكر الكفر . ولا يستطيعون أن يتخذوا موقفاً حاسهاً حازماً بين المسلمين والكافرين ، فهم يغرون بضعفهم ، ويعترفون به .

و وأو شاء الله أسلطهم عليكم و . فيا الذي يجعلهم يلوذون إلى قوم يتحالفون مع المسلمين بميثاق حتى يحتموا فيهم ؟ أو يقرون أن صدورهم ضيقة وألهم غير قادرين على التصرف ، ويعلنون : لا نستطيع أن نقاتلكم ولا أن نقاتل قومنا . ويوضع الحق : أنا فعلت هذا وألقيت الرعب في نقوسهم ، ولو شئت لسلطتهم وجرأتهم عليكم ، وقاتلوكم ، إذن فسيحانه ينصرنا بالرعب ويمنع فتالهم لنا .

و فإن اعتزاوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فياجعل الله لكم عليهم سبيلاً » .

إن اعتراوكم ولم يقاتلوكم وألقوا السلم واعترفوا بأنهم لا يملكون طاقة اختيار بين قتال المسلمين أو قنال قومهم ، فليس لكم أيها المسلمون حجة أن تعتدوا عليهم ؛ فالاعتداء عليهم في مثل هذه الحالة ينهى الله عنه .

#### 製置 ○+○○+○○+○○+○○+○○+○○+○○

وعين الحق لا تقتصر على ما نعوف ، ولكنها تتعدى إلى أدق التفاصيل ؛ فهي عين لا ترى ما عوفناه فقط ولكنها تكشف لنا الحجب التي لا نعرفها ، فيقول سبحانه :

﴿ مَنْ مَنْ مَكُمْ مَكُمْ مَارُدُّ وَالْمَا الْمَنْ مُرْدِدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا فَوَمَهُمْ كُلَّ مَارُدُّ وَالْمَا الْمِنْ مَنْ أَرْبِ كُولَا فِيهَا فَإِن لَمْ فَوْمَهُمْ كُلَّ مَارُدُّ وَالْمَا الْمَنْ مَن الْمَنْ مَن الْمَنْ مَن الْمَنْ الْمَن الْمَن الْمَن الْمَن الْمَن الْمَن اللهُ مَن الْمَن اللهُ مَن اللهُ اللهُ

تبدأ هذه الآية بفعل يتحدث عن المستقبل: وستجدون آخرين يربدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم و . معنى ذلك أن المسلمين لحظة نزول هذه الآية لم يكونوا قد وجدوا مثل هؤلاء القوم الذين يتحدث عنهم الحق و ولو لم يحدث للمعاصرين لنزول القرآن أن وجدوا مثل هؤلاء ماذا كانوا يقولون عن هذا الخبر؟ . لو لم يجدوا مثل هؤلاء القوم لتشككوا في القرآن . وسبحانه يوضح أن عين معكم ، وعين لكم ، أخبرتكم بما حدث واختلفتم فيه ، وأخبركم بما لم يصل إلى أذهانكم وعلمكم فلا تختلفوا فيه ، وهذا دليل على أنكم في رعايتي وفي عنايتي .

و ستجلون آخرين يريلون أن يأمنوكم ، وهؤلاء القوم هم قوم من بنى أسد وغطفان ، وكانوا على مشارف المدينة ، وكانوا يقابلون المسلمين فيقولون : و نحن معكم ، ، وكانوا أيضاً يقابلون الكفار فيقولون : و نحن معكم ، ، والحقيقة أنهم عاجزون عن مواجهة أى معسكر . ولذلك يصفهم القرآن : و ستجلون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلها ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها » . وهؤلاء كلها جامعم الاختبار و أركسوا فيها » . أى فشلوا في الاختبار ، فعناصرهم الإيمانية لم تقو بعد ، ومازالوا في حبرة من أمرهم ، وعندما جامهم الفتنة لتصهرهم وتكشف ما في بعد ، ومازالوا في حبرة من أمرهم ، وعندما جامهم الفتنة لتصهرهم وتكشف ما في

أعياقهم ازدادت حيرتهم . فالفتنة هي اختيار ، وليست الفئنة شيئاً مذموماً ، وعندما يقال : إن فلانا في فئنة فعلى المؤمن أن يدعو له بالنجاح فيها ، فالفئنة ليست معميبة تقع ، ولكن المصيبة تقع إذا رسب الإنسان في الفئنة .

ونعلم أن الفتئة مأخونة من الأمر الحسى ، فتنة الذهب وكذلك الحديد : فتنة الذهب هي صهر الذهب في البرتقة حتى ينصهر ؛ فتطفو كالزيد كل العناصر الشائبة المختلطة بالذهب ، وكذلك الحديد ، يتم صهره حتى تنفصل الذرات المهاسكة بعضها عن بعض ، ويطفو الحبث .

ونعرف أن الحديد أنواع : فالحديد الزهر شوائبه ظاهرة فيه وسهل الكسر . بينها نجد الحديد المصلب بلا خبث فهر صلب . وفتنة الذهب والحديد تكشف عن المحادث الغربية المختلطة به . ونقلت كلمة والفتنة به من المحسات إلى الممان ، وصارت الفتنة هي الإختبار الذي ينجع فيه الإنسان أو برسب ، فهي ليست ضارة في ذاتها ، ولكنها ضارة لمن يرسب فيها .

وهكذا كان تنبؤ القرآن الذي يخبر المسلمين بأمر قوم على حدودهم ، تجعلهم الفتنة لا يقوون على الإيمان ، أى فكلها دعاهم قومهم إلى الشرك وقتال المسلمين رُدُوا على أعقابهم وانقلبوا على رءوسهم أقبع قلب وأشنعه وكانوا شرًا من كل عدو عليكم ، ريشرح القرآن كيفية سلوك المؤمنين نجاه هؤلاء المرتكسين والمنقلبين في الفننة : وفإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث تقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً ميناً ، ونلحظ أن الحق أمر بتأمين من لجارا بضعفهم على الرغم من نفاقهم إما إلى المسلمين وإما إلى حلفاء المسلمين حين قال في الآية السابقة :

﴿ نَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾

(من الآية ٩٠ سورة النساه)

وهذا إنصاف وتنبيه إلحى من الحق ألا يسمع أحد صوت حفيظته ويفترس قوماً ضعفاء . أما الذين بحاولون التمرد والاستسلام لعموت الكفر وإيقاع الأذى بالمسلمين ، ولم يلقوا بالسلم للمسلمين ويكفوا أيديهم عنهم ، هؤلاء يأتي فههم الأمر الإلحى :

#### O107Y@O+OO+OO+OO+OO+O

خذرهم واقتلوهم . وجعل الله للمسلمين على هؤلاء السلطان المين . والسلطان مكم نعرف مو القوة ، والقوة ثاخذ لونين : هناك قوة تقهر الإنسان على الفعل كأن يأتى واحد ويأمر إنساناً بالوقوف فيقف ، وكأن يأمر القوى الضعيف بالسجود فيسجد . وهذا سلطان القوة الذي يقهر القالب ، لكنه لا يقدر على قهر القلب أبداً . والسلطان الثاني هو سلطان الحجة ، وقوة المنطق وقوة الأداء والأدلة التي تقنع الإنسان أن يفعل .

والفارق بين سلطان القوة وسلطان الحبجة أن سلطان الفوة قد يقهر الإنسان على السجود ، لكن سلطان الحبجة بجعل الإنسان يسجد بالاقتناع . والسلطان المبين الذي جعله الله للمؤمنين على المنافقين اللين يقاتلون المؤمنين ، هذا السلطان يمكن لكم أيها المسلمون قوة تفعلون بها ما تريدون من هؤلاء ماداموا حاولوا الفتال وإلحاق الأذي بالمسلمين ، فالحزم والعدل هو أخذهم بالعنف .

وحتى نفهم معنى السلطان جيداً فلتتذكر الجدل الذي سيحدث في الآخرة بين الشيطان والذين اتبعوا الشيطان ، سنجد الشيطان يقول : لقد أغويتكم ، هذا صحيح ، وأنتم اتبعتمونى ، فأنتم المستولون عن ذلك ، فلم يكن في عليكم من سلطان قوة أو سلطان إقناع :

## عَ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِن سُلْطَانِ إِلَّا أَن دُعُونُكُمْ فَاسْتَجَبُّمْ لِي ﴾

(من الآية ٢٧ مبورة إيراهيم)

ويعد أن تكلم الحق عن القتال ومشروعيته ، وقتال المنافقين ، وقتال الأخرين . نجد الكلام يصل إلى موضوع الفتل . فأوضع لهم : المسألة أنني أنا الذي عملت البنيان الأدمى ، والحياة أنا الذي أهبها ، وليس من السهل لباقي البنيان أن بحرض على هدم هؤلاه الذين يقاتلونكم ، لكي يسلم باقي البنيان لكم ، وإياكم أن مجرثوا على بنيانات الناس ، فملعون من يهدم بنيان الله ؛ البنان لكم ، وإياكم أن مجرثوا على بنيانات الناس ، فملعون من يهدم بنيان الله ؛ فالنفس التي خلقها الله ، إياك أن تقترب من ناحيتها إلا بحقها وذلك بأن الجنرات على حدود الله ؛ لأنه صبحانه هو الذي خلق الحياة وهو الذي بأخذ الحياة، وحياة الناس على حدود الله ؛ لأنه صبحانه هو الذي خلق الحياة وهو الذي بأخذ الحياة، وحياة الناس واحداً ، مُذوانا دون حق نقص منه ، وأما إن كان ذلك قد قتل خطأ فناخذ منه الذبة ،

وتنتهى المسألة . لكن قاتل نفسه تحرم عليه الجئة .

إذن فقبل أن يقول لى: لا تقتل غيرك قال لى: إياك وأن تقتل نفك. إذن فسبحانه ليس بغيور فقط على الناس منك، بل بغار عليك أيضاً من نفسك، ولذلك فحين شرع سبحانه القصاص في القتل شرعه ليحميك لا ليجرتك على أن تقتل، أما عندما يأمر سبحانه: أن من قَتَلَ يُفتل فهو يقلط ويعدل، والقصد من هذا الحفاظ على حياتين ؛ لأنك إن علمت أنك إن قَتَكَ قُتِلْت لا تقتل. ومادمت لا تقتل فقد حيت حياتين حياة من كنت ستقتله وحياتك من أن يُقتص منك وهذا هو معنى قوله:

## ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْفِيصَاصِ حَيَوْةً يَكَأُولِي ٱلْأَلْبَبِ ﴾

(مَن الآية ١٧١ سورة البقرة)

إِذْنَ فَاللَّذِى بِتَفْلَسُفَ وَيَقُولُ : هَذَهُ بِشَاعَةً وَكَذَا وَكَذَا نَقُولُ لَهُ : اللَّذِي يشرعُ القصاصِ أَيْرِيدُ أَنْ يَفْتُلُ ؟ لا ، بل يريد أَنْ يُحمى حياتك ؟ لأن القاتل عندما يعلم أنه إِنْ قَتْلَ يُقْتُلُ فَلا يَقْتُلُ ، ومادام لا يفتل نكون قد حافظنا على حياته وحياة الاخر . إذن فقوله : « ولكم في القصاص حياة » قول صدق .

وعندما تكلم الحق عن الفتال والفتل ينبهنا : إياكم وأن تجرّئوا بسبب هذه المسائل على دماء الناس ولا على حياتهم ؛ لمذلك بتكلم سبحانه حن الفتل المحظور في الإيمان والإسلام ويقول :

﴿ وَمَاكَانَ لِمُوْمِنِ أَن يَقْتُلَ مُوْمِنًا إِلَّا خَطَانًا وَمَن قَنُلَ مُؤْمِنًا خَطَانًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَ وَمُوَّمُونَ فَوَ وَدِيَةٌ مُسَلِّمَةً إِلَى آهِ إِدِهِ إِلْآلَ يَصَمَكَ فَوَا فَإِن كَاكِ مِن قَوْمِ عَلُولًكُمْ وَهُو مُؤْمِنٌ فَتَحْرِرُ